دور القرآن الكريم في تأصيل العلوم البشرية وتوجيهها

- قراءة في الاتّجاهات التفسيرية العلمية والموضوعية -

الدكتور الشيخ علي الرضائي[1]

مدخل:

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2].

إنّ القرآن الكريم هو ينبوع المعارف الإلهية المتدفّق، ومائدة الله المبسوطة للجميع، وبرنامج شامل وكامل ينظّم حياة الإنسان ويحدّد له معالم طريق الكمال والسعادة الأبدية، فكيف يتمكّن هذا الكتاب العظيم من تأمين حاجات البشرية ومتطلّباتها؟

وعلى ضوء ذلك، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3] يمكن البحث عن البنى التأسيسية للعلوم البشرية التي يمكن الانطلاق منها لترشيد مسار هذه العلوم وجعلها ذات غاية واقعية الوجود، حيث إنّ كلّ علم من العلوم لا بدّ له من غاية ينشدها، وهذه الغاية تقترب من السموّ والكمال كلّما كانت

(١) أستاذ في الحوزة العلمية.
(٢) الإسراء: ٩ .
(٣) النحل: ٨٩.

مصداقاً للتقرّب من الغاية الأسمى للخلق وهي معرفة الله تعالى وتوحيده. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، حيث إنّ العبادة لازم معرفته تعالى. من هنا ينبغي العمل على توجيه العلوم البشرية وإعادة صياغتها وبلورتها وفق أصل معرفة الله تعالى وتوحيده، بصفته غاية حقيقية سامية فوق كلّ الغايات التي تكتسب واقعيتها بالانتساب إليه، ثمّ الانطلاق بعد ذلك إلى الكشف عن المحدّدات العامّة التي وردت في القرآن الكريم في خصوص المعارف البشرية وأسرار العلوم الإلهية. وقبل ذلك لا بدّ من الإشارة إلى تاريخ البحث لدى المفسّرين في صدد بيان المعارف القرآنية المتعلّقة بالعلوم والمعارف الإنسانية.

ومن هنا، فإنّ العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية تمتدّ إلى ما يقرب الألف سنة خلت، وقد حملت عناوين متعدِّدة مثل استخراج العلوم من القرآن، والتفسير العلمي للقرآن، ومنهج الاستفادة العلمية من القرآن، وحظيت هذه المسألة - في تاريخ التفسير - باهتمام المفسّرين وعلماء الإسلام، بل وحتى غير المسلمين.

وهذه المسألة ترتبط من جهة بتفسير القرآن، ومن جهة أخرى بإعجازه العلمي، ومن جهة ثالثة بالعلوم البشرية. ومن هنا، فإنّ عدداً من فروع العلوم الأخرى دخل ضمن نطاق البحث في هذا الموضوع، مثل «**القرآن والسياسة، والقرآن والاقتصاد، والقرآن والعلوم الاجتماعية، والقرآن وعلم الكون**»، حيث يمكن من خلال هذه العلوم إثبات التأثير الواضح لتعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته في المجتمع المعاصر. وعلى امتداد التاريخ وَجَدَ هذا الأسلوب معارضين له ومؤيّدين.

وأمّا منهجنا في هذه المقالة فهو يعتمد على التنظير العلمي المستند إلى الآيات العلمية في القرآن الكريم، خصوصاً تلك المتعلّقة بالعلوم الإنسانية، فيوجّهها باتّجاه معيّن.

(١) الذاريات: ٥٦.

كما إنّنا لا نغفل عن نقد الأساليب الأخرى وردّها، ولا سيّما التي تدعو إلى استخراج جميع العلوم التجريبية من القرآن وتحميله النظريات العلمية.

وقد تعرّض القرآن، وفي عدد كثير من آياته، إلى المسائل الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، وغيرها. وإنّ الاهتمام بها في كلّ عصر يمكن أن يساعد في حلّ الكثير من المشاكل التي تعصف بالمجتمع، وبالتالي تعبيد الطريق للفكر الإنساني حتى ينتج نتاجاً علمياً وافراً ممنهجاً وصحيحاً له غايته السامية والهادفة.

ومن مصاديق هذا الموضوع: العدالة الاجتماعية، والشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفض الاستعمار ومقارعته.

ولو تأمّلنا مليّاً في آيات الذكر الكريم لوجدنا الاهتمام الكبير بالأبعاد المختلفة والمتنوّعة لحياة المسلمين، ما دعا عدداً من المفسّرين ـ كـ «**سيد قطب في تفسيره الموسوم في ظلال القرآن، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل، وغيرهما**» ـ إلى العناية بهذه المسائل، والإلفات إلى هذا النمط التفسيري، تلبية لمتطلّبات العصر الراهن.

وفي صدد الأساليب الجديدة في التفسير الموضوعي (داخل النص، خارج النص، القرآن وعلم آخر) دأب الأسلوب التقليدي في التفسير الموضوعي على تناول النصّ من الداخل، كأن يختار المفسّر موضوعاً قرآنياً ويبحثه على ضوء مجموعة من الآيات القرآنية، المشابهة والموافقة، فتكون نقطة انطلاقه من النصّ إلى النصّ، ومن ثمّ يتمّ التوصّل إلى نتيجة في الموضوع المبحوث. فالمفسّر ينطلق من القرآن إلى القرآن للحصول على الرؤية القرآنية في هذا الصدد.

وأمّا في العصر الحاضر، فقد طرح بعض العلماء، كالشهيد الصدر قدس سره، أسلوباً جديداً للتفسير الموضوعي، يتمثّل في الانطلاق من خارج النصّ القرآني، لمعرفة وجهة نظر القرآن في موضوع من

موضوعات الحياة الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو السياسية، مثل: «**القرآن والتعدّدية، والقرآن والعلمانية، وغيرهما**»، وطرح الأسئلة على القرآن للخروج بمركّب قرآني ونظرية قرآنية حيال هذا الموضوع.

وثمّة اتّجاه آخر في التفسير الموضوعي، - وهو كذلك ينطلق من خارج النصّ - يمكننا أن نطلق عليه اصطلاح «**القرآن وعلم آخر**»، وهو يتكفّل بدراسة موضوع معيّن، مثل: «**خلق الإنسان**» من وجهة نظر القرآن، أو موضوع يتعلّق بالعلوم الطبيعية، مثل: «**علم الحياة، وعلم الطب**».

وكذلك يمكن أن يدرس في هذا الاتّجاه مواضيع لها ارتباط بأحد فروع العلوم الإنسانية، مثل: «**الاقتصاد، أو شروط الإدارة وأخلاقها، أو المشروعية السياسية، أو العلوم السياسية**»، ومعرفة وجهة نظر القرآن إزاء هذه المواضيع.

وعن طريق هذا الأسلوب الجديد نصل إلى التنظير للعلوم، وإيجاد معطيات جديدة، أو توجيه العلوم الإنسانية نحو جهة معيّنة.

وفي العقود الأخيرة ظهرت أساليب التفسير الموضوعي المقارن، بين الدين الإسلامي والأديان الأخرى، كالقرآن والكتب المقدّسة الأخرى، وفي داخل الدين الإسلامي، حيث تمثّلت بالمذاهب الإسلامية.

ولكلّ واحد من الاتّجاهات الموضوعية الآنفة الذكر خصائص معيّنة ومجالات للبحث والتقويم، سوف تتناولها هذه المقالة.

أولاً: الاتّجاه العلمي في القرآن:

إنّ الاستنباط العلمي من القرآن له مناهج فرعية متفاوتة فيما بين التفسير بالرأي - كما ينجرّ بعضها إلى ذلك - وبين التفسير المعتبر الصحيح، وبعضهم يمارس التنظير العلمي للقرآن من خلال العلوم المختلفة.

استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم:

لقد سعى دعاة التفسير العلمي القدماء، كابن أبي الفضل المرسي، والغزالي، وغيرهما، إلى استخراج العلوم كلّها من القرآن الكريم، وذلك لأنّهم كانوا يعتقدون بوجود كلّ شيء في القرآن، وفي هذا المجال كانوا يبيّنون كلّ آية يبدو ظاهرها منسجماً مع قانون علمي، وفي كلّ مكان حيث لا يكون ظاهر القرآن كافياً يلجأون إلى التأويل محوّلين ظواهر الآيات عن مسارها العرفي إلى النظريات والعلوم التي هي مورد عنايتهم. ومنها يجري استخراج العلوم، كالهندسة، والحساب، والطب، والهيئة، والجبر، وغيرها.

وللمثال: فإنّه ينقل استخراج علم الطب من قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ (الشعراء: ٨٠)[١]. كما واستفيد علم الجبر من الحروف المقطّعة في أوائل السور[٢]، وتنبّأوا بوقوع زلازل عام (٧٠٢هـ.ق) من الآية الشريفة: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾ (الزلزلة: ١)[٣].

ومن الواضح أنّ هذا النوع من التفسير العلمي ينجرّ إلى كثير من التأويل في آيات القرآن، من دون مراعاة القواعد الأدبية والظواهر والمعاني اللغوية والقواعد العامّة للتخاطب والمحاورات العرفية.

ولأجل هذا فقد اعتبر الكثير من المعارضين أنّ التفسير العلمي يأتي جزافاً ولا فائدة منه[٤].

ومن الطبيعي، أن ترد الإشكالات على هذا النوع من التفسير العلمي.

تحميل النظريات العلمية على القرآن:

لقد أصبح هذا الأسلوب من التفسير العلمي رائجاً في القرن الأخير،

---

(١) الغزالي، أبو حامد: جواهر القرآن، الفصل الخامس، ص٢٧.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: التفسير والمفسّرون، ج٢، ص٤٨١.

(٣) الزركشي، محمد بن عبد الله (بدر الدين): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٦هـ.ق/ ١٩٥٧م، ج٢، ص١٨٢.

(٤) انظر: الذهبي، التفسير والمفسّرون، م.س، ج٢، ص٤٥٤ - ٤٩٥.

فسعى كثير من الأشخاص - من خلال إضمارهم القوانين والنظريات في العلوم التجريبية - لإيجاد الآيات التي توافقهم من القرآن، وفي كلّ حين لم يجدوا فيه ظاهر الآية موافقاً لهم التجأوا إلى التأويل أو التفسير بالرأي، وحملوا الآيات على خلاف المعنى الظاهري.

ومثال على هذا التفسير: ذكر عبد الرزاق نوفل في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾[١] أنّ المراد من مفردة «نفس» هو البروتون، و«زوج» هو الإلكترون، وقال: مراد القرآن هو: إنّا خلقناكم من بروتون وإلكترون، اللذين هما جزءا الذرة، الموجب منها والسالب[٢].

فلم يذكر في هذا التفسير معنى لغوي ولا اصطلاحي لمفردة النفس.

وانتشر هذا اللون من التفسير العلمي في القرن الأخير في بعض البلدان، وتسبّب في اشمئزاز علماء الدين من مطلق التفسير العلمي، فأبعدوا التفسير العلمي بذريعة أنّه تفسير بالرأي وحمل للنظريات والعقائد على القرآن. كما أنّ العلّامة الطباطبائي اعتبر التفسير العلمي نوعاً من التطبيق[٣].

ومن الطبيعي أن يكون الحقّ مع المعترضين على لون كهذا من التفسير العلمي، وذلك لوجوب أن يكون المفسّر خالياً من أيّ حكم قبل الورود في عملية التفسير، لكي يستطيع إنجاز التفسير الصحيح.

وأمّا إذا كان معتقداً بنظرية علمية وأراد حملها على القرآن، ليكون قد خطا الخطوة الأولى لمسيرة التفسير بالرأي، والذي وعد صاحبه بأشدّ ألوان العذاب كما جاء في الروايات.

(١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) نوفل، عبد الرزاق: القرآن والعلم والحديث، ص١٥٦.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، قم المقدّسة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، لات، ج١، المقدّمة، ص٦ وما بعدها.

استخدام العلوم في فهم القرآن وتبيينه:

وفي هذا الأسلوب من التفسير العلمي يُقدِم المفسّر- بعد إحاطته بالظروف اللازمة ومراعاة ضوابط التفسير المعتبر- على التفسير العلمي للقرآن، أي يسعى إلى أن يستخدم المطالب والنتائج العلمية القطعية - المدعومة بالدليل العقلي - والموافقة لظاهر آيات القرآن - طبقاً للمعنى اللغوي والاصطلاحي - بغية أن يفسّر القرآن علمياً، ويكشف معانيه المجهولة، ويضعها في متناول طلاب الحقيقة من الناس.

وهذا الأسلوب من التفسير العلمي هو أفضل أنواعه، بل هو النوع الصحيح منه فقط.

وسنبيّن في المباحث القادمة، ملاك هذا اللون من التفسير بشكل مفصَّل. وأمّا هنا، فلا بدّ من التأكيد في هذا اللون من التفسير على وجوب تجنّب أيّ نوع من التأويل، واجتناب التفسير بالرأي.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة بيان المطالب بشكل احتمالات عن مقصود القرآن، وذلك لأنّ العلوم التجريبية وبسبب الاستقراء الناقص، وقابلية مبانيها للردّ والإبطال تكون فرصة الحصول على مطلب علمي قطعي حولها ضئيلة الوجود.

وللمثال: نزلت الآية الشريفة: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾[1]، في الصدر الأوّل للإسلام، ففهم الناس منها الحركة الحسّيّة واليومية للشمس، في حال أنّ حركة الشمس من المشرق إلى المغرب أمر كاذب ومجرّد خطأ حسّي لأبصارنا، وإنّما الحقيقة هي: أنّ الأرض متحرّكة، وبهذه الحركة نرى الشمس تتحرّك كما هو الحال لشخص راكب في القطار، فإنّه يرى المنازل المجاورة للسكّة الحديدية متحرّكة.

وبعد تقدّم العلوم البشرية وكشف حركة الأرض والشمس، اتّضح أنّ الشمس لها حركة انتقالية «**ليست حركة كاذبة، بل حركة واقعية**»، بل إنّ

(١) يس: ٣٨.

جميع المنظومة ومجرّة درب التبانة في حالة الحركة[١].

لذا يمكننا القول: إن ثبتت حركة الشمس بشكل قطعي - وظاهر الآية ينطق بأنّها في حالة جريان - فهذا يعني أنّ مراد القرآن الحركة الواقعية «**الحركة الانتقالية وغيرها**» للشمس، وعلاوة على ذلك، فإنّ القرآن يتحدّث عن جريان الشمس، لا عن حركتها، وقد تبيّن في الجديد من علم النجوم أنّ الشمس من مادّة البلازما - الحالة الغازية - فهي في حالة تقلّب، بسبب الانفجارات[٢]، وبحالة جريان، وهي ليست كالرصاصة الجامدة تتحرّك فقط، بل كالماء، في سيلانه وجريانه[٣].

د - التنظير العلمي للقرآن وتوجيه مباني العلوم البشرية:

لقد بيّنت بعض الآيات العلمية في القرآن الكريم أموراً لم يتوصَّل إليها العلم الحديث إلى يومنا هذا، وهي وإن لم يتمّ إثباتها بالعلوم التجريبية، ولكن لا بدّ من التنويه بأنّه لا يوجد دليل عندنا على نفي تلك الحقائق القرآنية. وبما أنّ الوحي الإلهي يُعدّ نوعاً من العلم القطعي ومن المصدر الربّاني فهو صحيح، ولا يوجد أدنى شكّ فيه، وإن لم يكن لدينا شواهد تجريبية وقرائن علمية على إثبات حقائقه العلمية، فمن الممكن أن يكون الأمر فيها كما هو الحال في التنبّؤات العلمية الأخرى للقرآن - مثل قوّة الجاذبية، طبقاً لقوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[٥]، وغيرهما - يكون

(١) أوبلاكر، إريك: فيزيك نوين (الفيزياء الجديدة)، ص٤٥-٤٨.
(٢) م.ن، ص٤٥-٤٨.
(٣) للاطلاع على مزيد من الأمثلة، انظر: الرضائي الأصفهاني، محمد علي: پژوهشى در اعجاز علمي وكتاب: در أمدى بر تفسير علمى قرآن.
(٤) الرعد: ٢.
(٥) لقمان: ١٠.

المستقبل ظرفاً لتحقّقها، وشاهداً على صدقها. فيمكن طرح هذه الموارد بعنوان نظريات علمية للقرآن، وهكذا النظريات العلمية الأخرى تبحث عن شواهدها وقرائنها التجريبية.

أمثلة ونماذج تطبيقية:

١- نظرية الكائنات الحيّة في السموات:

ويمكن استظهار ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[١].

فثمّة علامات كونية وإشارات مدّعاة من هنا وهناك تشير إلى وجود كائنات حيّة عاقلة في الكواكب السيّارة البعيدة. ولكنّ علماء الفلك ولحدّ يومنا هذا لم يحصلوا على نظرية قطعية بهذا الخصوص، ولم يصرّحوا بذلك، ولكنّ هذا الموضوع يمكن أن يكون نظرية علمية قرآنية ومجالاً لغرض التحقيقات التجريبية الفلكية الواسعة[٢].

٢- نظرية اتّساع (تمدّد) السموات:

إنّ هذه الرؤية يمكننا فهمها من بعض آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٣].

وهناك نظريّتان في المباحث العلمية للفيزياء الكونية، إحداهما: انبساط العالم، والأخرى نظرية انقباض العالم[٤].

ولكلّ من هاتين النظريّتين شواهد وقرائن، ولكنّ كلاهما لم تثبت،

(١) الشورى: ٢٩.
(٢) انظر: تفاسير القرآن في ذيل الآية٢٩ من سورة الشورى، كـ الأمثل للشيرازي، والجواهر للطنطاوي، والقرآن وعلم اليوم لعبد الغني الخطيب.
(٣) الذاريات: ٤٧.
(٤) انظر: هاو كينغ، ستفن: تاريخ الزمان، ترجمة داد فرما، ص٥٨.

ويمكن استنباط نظرية انبساط العالم واستظهارها من الآية المذكورة[١]، بحيث تكون نظرية علمية قرآنية ومجالاً لغرض التحقيقات التجريبية الفلكية الواسعة.

٣- نظريّة السموات السبع:

لقد تكرّر في القرآن الكريم ذكر «**السموات السبع**» كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَميعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَليماً غَفُوراً**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً**﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً**﴾[٩] وغيرها من الآيات.

علماً أنّ العلوم الفلكية لا تخبر إلا عن سماء واحدة فيها الآلاف من المجرّات والنجوم والكواكب، وهي ساكتة عن الإخبار بوجود سموات أخرى، ذلك لأنّ الأدوات العلمية والأجهزة الفعلية للبحث العلمي التي

(١) انظر: الرضائي، پژوهشی در اعجاز علمي قران، م.س، ج١، ص١٤٢ وما بعدها.
(٢) البقرة: ٢٩.
(٣) الإسراء: ٤٤.
(٤) المؤمنون: ١٧.
(٥) المؤمنون: ٨٦.
(٦) فصلت: ١٢.
(٧) الطلاق: ١٢.
(٨) نوح: ١٥.
(٩) النبأ: ١٢.

توصّل إليها البشر، والرحلات الفضائية المتعدّدة لم تكشف لنا أكثر من ذلك.

ولكنّ القرآن الكريم يطرح مسألة السموات السبع بصورة مؤكّدة وقطعية، وهذه يمكن أن تكون أيضاً نظرية علمية قرآنية ومجالاً لغرض التحقيقات التجريبية الفلكية الواسعة.

ولا بدّ أن نذكّر أنّ هناك معانيَ وآراء مختلفة بخصوص السموات السبع وتفسيرها في الآيات الآنفة الذكر.

إنّ ذكر ما يختصّ بعلم النجوم مبني على أساس تلك المعاني، وعلى أساس أنّ العدد سبعة أمر واقعي ومقصود من السموات، وهو محلّ كواكب المجموعة الشمسية ومدارها[١].

٤- نظرية خلق الإنسان من التراب مباشرة:

إنّ مسألة خلق آدم الأوّل من التراب قد بُيِّنت في الكتب السماوية، ولا سيّما القرآن، ويدلّ بعض الآيات على خلق الإنسان من التراب والطين، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٤] (وإن كانت في بعض الآيات دلالات أخرى).

وبعد مضي السنين ظهرت نظرية التكامل على يدي لامارك، وداروِن، القائلة إنّ وجود الإنسان منحدر من أصل حيواني سابق.

وعادة ما يرى العلماء والمفسّرون أنفسهم مردّدين بين هاتين النظريتين فيختارون إحداهما، ويرفضون الأخرى، وكُتبت عن هذا

(١) انظر: مرادي، إيمان: رازهاى آسمانها هفتگانه، بهبودي، محمد باقر: هفت آسمان، الرضائي، پژوهشى در اعجاز علمي قران، م.س، ج١، ص١٢٦ وما بعدها.
(٢) سورة الأنعام: ٩٨.
(٣) آل عمران: ٥٩.
(٤) الرحمن: ١٤.

الموضوع كتب كثيرة[١]، بيد أنّه يمكن طرح نظرية ثالثة قد تكون وجهاً للجمع بين النظريتين، وهي: أنّه يمكن قبول التكامل والارتقاء البايولوجي في الموجودات (إذا أثبتَ بالأدلّة القطعية)، بل ويمكن أن يكون الإنسان وُجِدَ من جيل من القرود، ولكنّه انقرض فيما بعد.

أمّا أبونا آدم عليه السلام - والذي هو أبو البشرية فهو مستثنى من هذه الحالة - فإنّه قد خُلِقَ من التراب مباشرة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك صفات وخصائص للإنسان الموجود ليست موجودة في القرود. ولنظرية التكامل والارتقاء حلقة مفقودة بين القرد والإنسان، ويمكن أن يكون هذا شاهداً على هذه النظرية. فلهذه النظرية صلاحية بأن تكون نظرية علمية قرآنية في خلق الإنسان، وأن تكون موضوعاً للبحث البايولوجي، وتطرح إلى جانب نظرية التكامل والارتقاء، ويتّجه البحث نحو إيجاد الشواهد التجريبية لها أثرية كانت أو بايولوجية.

وفي القرآن الكريم توجد مباحث مفصّلة بخصوص نظرية التكامل، ولها آيات موافقة وآيات مخالفة، ويحتاج الأمر لبحث واسع في آراء المفسّرين، والذي تحقّق في بعض الكتب[٢].

٥- التنظير القرآني في مجال العلوم الإنسانية:

ونماذجه متعدّدة في القرآن الكريم، منها: التنظير لمباني الإدارة في القرآن وأصول الاقتصاد، فإنّه إذا جرى الالتفات والاعتناء بهذه الموارد الهامّة، وتسليط الضوء عليها، فإنّه ستحصل ثورة في دنيا العلوم الإنسانية، وسوف يتغيّر وجه العالم في القرن الحادي والعشرين، ونضع بذلك حدّاً للهيمنة الثقافية الغربية على الشرق الأوسط.

(١) أنظر: سبحاني، يد الله: خلقت إنسان - خلق الإنسان -، مهاجري: نظريه تكامل از ديدگاه قران - نظرية التكامل في نظر القرآن.

(٢) انظر: مشكيني، علي: تكامل در قرآن، الرضائي، پژوهشى در اعجاز علمي قران، م.س، ج٢.

وعلى سبيل المثال، فإنّه يفهم من آيات القرآن الكريم ذات المحور الإلهي[١]،أنّ الله تبارك وتعالى المفيض الموجد لكلّ الكائنات، والمنتهى الذي تصير إليه الأمور جميعها: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٢].

وأمّا تقويماً فإنّ قيمة كلّ عمل مرتبطة بصبغته الإلهية وإخلاصه للربّ: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[٣]. والكون في سبيل الله والمضي عليه، في حين أنّ العلوم الإنسانية الجديدة والتي اتّخذت الإنسان محوراً لها وموضوعاً ستتأثّر بهذا الأمر. بجعل الله محوراً في جميع المجالات. ولا سيّما العلوم التربوية والعلوم السياسية، فسوف تتّجه وجهةً محدّدة ومميّزة بالصواب.

فقد جرى وضع الأساس للاقتصاد الإسلامي، في الحال الذي كان وما زال الاقتصاد الغربي قائماً على الأساس الرَبَوي (وخاصّة في المصارف والبنوك)، فلو طُبِّق المبنى والأساس القرآني في النظام المصرفي، لكان هدياً ومرشداً للنظام الجديد اللاربوي.

وإنّ النظام السياسي الغربي الجديد قائم على أساس الفصل بين الدين والسياسة وما يرتبط بالأمور الدنيوية، وهو ما يصطلح عليه بـ(العلمانية).

وأمّا سياسة القرآن فإنّها قائمة على أساس التداخل بين الدين والسياسة. ومن هنا، فإنّ كثيراً من الآيات القرآنية جاءت مبيّنة لجم غزير من المسائل المتعلّقة بالحكومة، والأصول السياسية الخراجية، وقوانين السلم والحرب، وغيرها. وكذلك يجب رعاية الأسس الأخلاقية، وأصل العدالة، والقضاء على الفقر في النظام الإداري، والاهتمام بالبعدين الروحي والمعنوي للإنسان، مضافاً إليه البعد البدني والمادي.

(١) الآيات التي أشارت إلى أنّ الله تعالى محور لحديثها في البداية أو النهاية أو الوسط، أو تلك الآيات التي ما انفكت تذكر الله، سواء بالاسم الصريح أم الضمير، وترجع الأمور إليه.

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) البقرة: ١٣٨.

وثمّة آيات قرآنية كثيرة أشارت بشكل مباشر وغير مباشر إلى مباني العلوم الإنسانية وأسسها، وإنّ استعراضها يتطلّب كتابة مقالات خاصّة، بل كتب معجمية شاملة[١].

ثانياً: الاتّجاه الاجتماعي في القرآن:

بالإضافة إلى تناول القرآن الكريم للعقائد والأحكام التكليفية المرتبطة بالإنسان، فإنّه تناول الكثير من المسائل الحياتية المرتبطة بالحياة الفردية والاجتماعية لبني البشر.

ولقد كان هذا البعد الاجتماعي محطّ اهتمام المفسّرين منذ سالف الزمان، فبحثوا الآيات المرتبطة بهذا الموضوع، وفي القرن الأخير، ومع الحركة الإصلاحية التي قادها السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني(١٣١٥ هـ) في مصر تشكّلت نظرة جديدة للتعاليم القرآنية والإسلامية.

وقام من بعده تلميذه الشيخ محمد عبده(١٣٢٣ هـ) ببلورة تلك النهضة في اتّجاه التفسير الاجتماعي[٢]، فأُلّفت تفاسير مهمّة كتفسير المنار.

وأمّا محمد رشيد رضا فإنّه، وإن كان قد ابتعد عن بعض الأهداف التي نشدها جمال الدين ومحمد عبده[٣]، إلا أنّه استمرّ في الاتّجاه الاجتماعي وأكمل طريقته.

ولقد سار على هذا المنهج الكثير من بعده، فظهر العديد من العلماء، ففي مصر مثلاً ظهر الشيخ المراغي (تفسير المراغي)، والسيد قطب

(١) انظر: نجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس، مباني اقتصاد إسلامي، مكتب الحوزة والجامعة، نوروزي: نظام سياسي إسلام، نبوي، محمد حسين: مديريت إسلامي، وغيرها.

(٢) اعتبر الشيخ معرفة قدس سره أنّ الشيخ محمد عبده هو مؤسّس هذه المدرسة التفسيرية، أنظر: معرفة، محمد هادي: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص٤٣٥.

(٣) أفرط في باب تطبيق القرآن على العلوم الجديدة، وفي تأويل المعجزات، وتأثر بالوهابية في بعض الأحيان، ووقف موقفاً سلبياً من الشيعة، أنظر: معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، م.س، ج٢، ص٤٥٦ -٤٦٥، الذهبي، التفسير والمفسرون، م.س، ج٢، ص٥٨٥ وما بعدها.

(في ظلال القرآن)، وفي سوريا برز القاسمي (محاسن التأويل)، وفي إيران لمع السيد الطباطبائي (الميزان)، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي (التفسير الأمثل)، والطالقاني (شعاع من القرآن).

وأما في لبنان فظهر الشيخ محمد جواد مغنية (الكاشف)، والسيد محمد حسين فضل الله (من وحي القرآن)، فمشيا على هذا الطريق، وأكملا المسير على النهج نفسه.

لقد تماشى الاتّجاه الاجتماعي في التفسير مع التوجّهات العصرية والانعطافات الثقافية للمجتمعات، فتأثّر بالأفكار الجهادية والتربية الإرشادية والحركة التقريبية، وتواصل مع الحركات الثورية والإصلاحات الاجتماعية، ولعلّ خير مثال على ذلك هو تفاسير الإمام الخميني قدس سره للآيات القرآنية، والتي تجلّت في خطاباته وكتاباته[1]. والذي على أثرها تحرّك الشعب الإيراني، بل والعالم الإسلامي وثارت عرينته، فحقّق أكبر ثورة في العصر الحاضر.

إنّ هذا الاتّجاه في التفسير ـ مع جذباته العصرية ـ إنّما هو من أروع الاتجاهات التفسيرية وأزهارها، فإنّه وفي كلّ عام يظهر لنا في تفسير جديد، وبأسلوب حديث، وقد قام الدكتور الذهبي بتوضيحه، وذكر نقاط قوّته، واعتبر الإشكالات الواردة عليه إنّما هي إعطاء الحرّيّة البالغة للعقل في انجاز عملية التفسير، بحيث يؤدّي عرض الحقائق الشرعية بشكل مجازي أو تمثيلي، ومن ثمّ يتّجه نحو المنهج المعتزلي[2].

ولكنّ الشيخ محمد هادي معرفة قدس سره يعدّ هذا الاتّساع والحرّيّة العقلية صفةً حسنةً ونوع امتياز يقوى به هذا الاتّجاه على الوقوف على الروايات الضعيفة والموضوعة في تفسير القرآن[3].

(١) انظر: الخميني، روح الله: صحيفة النور (المجموعة الكاملة لخطابات السيد الإمام الخميني قدس سره ورسائله وبياناته، المجموعة في عشرين جزءاً).

(٢) الذهبي، التفسير والمفسرون، م.س، ج٢، ص٥٤٧-٥٥٠.

(٣) معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، م.س، ج٢، ص٤٥٣.

خصائص هذا الاتجاه ومميّزاته:

لقد التفت المفسّرون - الذين ساروا على هذا الاتّجاه التفسيري - إلى العناصر التالية، وأولوها المزيد من الاهتمام:

١- تناولوا الآيات القرآنية المرتبطة بالمسائل الاجتماعية وأشبعوها بحثاً أكثر من غيرها.

٢- الاهتمام بالمشاكل العصرية للمسلمين مطّبقين الآيات القرآنية على حياتهم المعاصرة، باحثين في القرآن عن العلاج لمشاكلهم.

٣- لم يقصروا النظر على الاتّجاه الفلسفي أو المذهبي أو الأسلوب الأدبي أو الفقهي فقط، وكان سعيهم في استخراج العقائد، ومعرفتها من القرآن، لا أن يجعلوا القرآن تابعاً للعقائد التي يحملونها.

٤- الاهتمام بالتوجّهات العصرية، كما هو الحال في باب جهاد أعداء الإسلام - ولا سيما إسرائيل -، وفي موضوع الاستعمار الغربي، وكذا الحركة التقريبية، والوحدة الإسلامية.

٥- التركيز على التعاليم التربوية والإرشادية في القرآن الكريم.

٦- اعتماد العقل والعلوم التجريبية القطعية في التفسير القرآني، وانتهاج المنهج العقلي والعلمي في التفسير.

٧- الابتعاد التامّ عن الروايات الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات والأساطير.

٨- انتهاج الأسلوب البسيط في التعبير، والقلم السهل في الكتابة، لكي يكون التفسير مفيداً لعامّة الناس.

٩- معالجة الشبهات والإشكالات التي يروّج لها المخالفون ضدّ القرآن الكريم، وضدّ الإسلام الحنيف، وذلك من خلال طرحها وبحثها والجواب عنها في ثنايا التفسير.

١٠- لجوءهم إلى التأويل كثيراً، وذلك كلّما تعارض ظاهر الآيات أو الروايات مع الحقائق الشرعية الثابتة، أو العقلية، أو العلمية القطعية، أو إنّهم يحملون تلك الظواهر على المجاز.

١١. إنّ المفسّر في الاتّجاه الاجتماعي للتفسير لا ينظر إلى الآيات والأحكام الإسلامية من زاوية فردية، بل يتعامل معها بروح اجتماعية، ووفق البعد الجمعي.

١٢. إنّ المفسّر في هذا الاتّجاه لا يتعامل مع التفسير بطريقة تقليدية، وإنّما يسعى إلى تطبيق السنن الاجتماعية المذكورة في الآيات القرآنية، وفق متطلّبات الزمان الحاضر، في إطار بيان سَمِحٍ يفهمه عامّة الناس.

أمثلة ونماذج تطبيقية:

لقد اهتمّ التفسير الاجتماعي اهتماماً كبيراً بما يلي من المواضيع والآيات الكريمة:

١. العلاقات الاجتماعية فيما بين المسلمين (آل عمران: ٢٠٠، وغيرها).

٢. وحدة الأمّة الإسلامية (آل عمران: ٢٠٣، وغيرها).

٣. علاقة المسلمين مع الشعوب الأخرى، وتأسيس الأصل السياسي للقرآن القائل بنفي السبيل في السياسة الخارجية الإسلامية (النساء: ١٠١).

٤. الحكومة الإسلامية والمواضيع السياسية للمجتمع الإسلامي.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦. الصحّة الفردية والصحّة الاجتماعية (الإسراف، الطعام النظيف، وغيرهما).

٧. التعاون الاجتماعي (البرّ والإحسان، وإعانة الفقراء وغيرها).

٨ ـ الجهاد الإسلامي، ووجوب قتال أعداء الإسلام، كالمستعمرين والصهاينة.

٩. حرّيّة الإنسان ومجابهة الظلم والاستبداد.

١١. الاهتمام بالعلوم الطبيعية والإنسانية في تفسير القرآن.

مثال: لقد عرض العلامة الطباطبائي قدس سره - وهو يفسّر الآية ٢٠٠

من سورة آل عمران - مباحث مهمّة تحت عنوان «**كلام في المرابطة في المجتمع الإنساني**». وقد اشتمل البحث على ٥٠ صفحة، وغطى مواضيع وعناوين ذات أهمّيّة بالغة، كالإنسان والاجتماع، والإنسان ونموه في اجتماعه، والحرّيّة في الإسلام، والتكامل في المجتمع الإسلامي، والإسلام وهدف إسعاد الحياة الدنيا، ومن يتقلّد ولاية المجتمع في الإسلام، وحدود الوطن الإسلامي، وغيرها[١].

ثالثاً: الأساليب الجديدة في التفسير الموضوعي (خارج النصّ، القرآن وعلم آخر):

هناك أساليب للبحث في القرآن الكريم وتفسيره، كالأساليب المختلفة في التفسير، وكذا الأساليب المتعدّدة في التحقيق، فمنها ما هو داخل النصّ القرآني (البحث داخل القرآن)، ومنها ما هو خارج القرآن (البحث من خارج القرآن ومحاولة استنطاقه).

وأمّا في العقد الأخير فقد دخلت أساليب جديدة بصورة موسّعة في الدراسات الموضوعية القرآنية، كأسلوب (القرآن وعلم آخر)، وبشكل مقارن، والتي أنتجت نتائج رائعة.

وقد توزّعت الأساليب أو الطرق الفرعية للدراسات الموضوعية للقرآن إلى أقسام عدّة. كما أنّ التفاسير الموضوعية للقرآن تقسّمت إلى عدّة مجموعات (أو طوائف)، وأمّا أساليب التفسير الموضوعي للقرآن فهي:

البحث الموضوعي داخل القرآن (التفسير الموضوعي التقليدي):

وهو من أقدم الأساليب للبحث الموضوعي للقرآن، ويقوم على أساس تفسير القرآن بالقرآن، ويسعى فيه الباحث إلى الإفادة من القرائن النقلية الداخلة في النصّ للحصول على معاني الآيات ومقاصدها، وعلى نتائج جديدة. ومن فرضيات هذا الأسلوب حجّيّة ظواهر القرآن.

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، م.س، ج٤، ص٩٧- ١٤٧.

إنّ منهج تفسير القرآن بالقرآن منهج صحيح ومعتبر، ولا يوجد اختلاف - على نحو التضاد أو التناقض - في القرآن، وإنّ ما يظهر من اختلاف عرفي، كالعامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد، وغيرهما، فهو وإن وجد في القرآن، لكنّه ومع التأمّل بهذا المنهج - من خلال التحقيق الموضوعي داخل النصّ - يمكن دفعه وحلّه، بالتوحيد، وحمل بعض الآيات على بعضها الآخر.

إنّنا نلمس بوضوح أنّ جذور هذا المنهج موجود في أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

ولهذا الأسلوب استعمالات خاصّة، ومجال خاصّ به، ونواقص وأضرار.

وعلى سبيل المثال: إذا أدرنا بحث موضوع «**الإنفاق**» في القرآن، فلا بدّ من جمع الآيات واستقصائها، ولا سيّما المشتملة على الكلمات المشابهة لمفردة «**الإنفاق**»، نحو «**ينفقون**» أو «**تنفقون**»، ثمّ نبحث الآيات المشابهة لمعنى «**الإنفاق**»، كالقرض الحسن، و«**البرّ**»، وغيرهما، ثمّ الآيات الناهية عن «**الإنفاق**»، نحو قوله تعالى: ﴿**لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ**﴾[1]، وكذا الآيات التي تتعلّق بموضوع الإنفاق، كآيات الفقراء والمساكين والأغنياء، والمواد الغذائية وغيرها.

البحث الموضوعي الخارجي (خارج النصّ):

إنّ مؤسّس هذا الأسلوب هو السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره[2]، وقد عرض قدس سره أسلوباً جديداً في تفسير القرآن، وذلك من خلال استنطاق الآيات القرآنية.

ويتمثّل هذا الاتجاه في الانطلاق من خارج النصّ القرآني لمعرفة وجهة نظر القرآن في موضوع من موضوعات الحياة الاقتصادية، أو الاجتماعية،

(١) المنافقون: ٧.

(٢) انظر: الصدر، محمد باقر: مقدّمات في التفسير الموضوعي للقرآن، ص١٩-٢٠، الحكيم، محمد باقر: تفسير سورة الحمد، ص٩٤، صدر الديني، علي رضا: مفاتيح فهم القرآن، ج٢، ص٨٢، ومجموعة آثار الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ج١٣، ص٢٧.

أو السياسية، من خلال جمع جملة من المعطيات في موضوع معيّن وطرح الأسئلة على القرآن الكريم واستنطاقه لبيان رؤيته في هذا الصدد.

وعلى أساس هذا الأسلوب ظهرت في العقد الأخير تفاسير موضوعية في مجالات شتّى، مثل: «**القرآن والفنّ، والقرآن والتعددية، والقرآن والعلمانية، وغيرها**»، من خلال طرح الأسئلة على القرآن للخروج بمركّب قرآني ونظرية قرآنية حيال هذا الموضوع.

إنّ ما يفترضه هذا الأسلوب في التفسير قائم على حقيقة، مفادها: أنّ القرآن قادر على تلبية متطلّبات الهداية للبشر في كلّ زمان ومكان.

ومن هنا، نجد الكثير من المواضيع الجديدة في مجالات الحياة والثقافة، محوراً للبحث من الزاوية القرآنية، كالبحث عن وجهة نظر القرآن في النظام الديمقراطي، أو مسألة الاستنساخ البشري، وغيرهما.

ومن الطبيعي، فإنّه يجب أن يكون الباحث أو المفسّر، في هذه الحالات، خليّاً من أيّ مسبقات ذهنية، أو ميل أو فرضية يريد تحكيمها وإثباتها، فيعمد إلى جمع الآيات الموافقة والمخالفة، ويفسّرها، ويبيّن موقف القرآن إزاءها.

وكذلك ينبغي للباحث أو المفسّر أن يستخدم المناهج التفسيرية المختلفة والقرائن العقلية والنقلية (كالروايات وغيرها)، وبالتالي يستخرج الموقف النهائي للدين الإسلامي.

وممَّن سلك هذا الأسلوب، نذكر على سبيل المثال، السيد محمد حسن قراملكي، فإنّه استخدم هذا الأسلوب في كتابه «**القرآن والعلمانية**»، وكتاب «**القرآن والتعددية**».

البحث الموضوعي المقارن:

ويهدف هذا الأسلوب إلى معرفة نظرية أو رأي خاصّ من خلال عملية المقارنة والمقابلة (أي فهم مواطن الاتّفاق والاختلاف وإيضاحهما)[1].

(١) فرامرز قراملكي، أحمد: روش شناسي مطالعات ديني، ص٢٥٥-٢٥٤.

وكانت هذه المنهجية تستخدم في الدراسات الموضوعية والتربوية للقرآن. وأمّا في العقد الأخير فيمكن ملاحظتها بوضوح أكثر في التفاسير الموضوعية، حيث تبرز - على الأقلّ - في مجالين، هما:

١- البحث الموضوعي المقارن بين القرآن والكتب المقدّسة، ومثاله: (آدم عليه السلام وحواء في القرآن والعهدين، أو لوط عليه السلام في القرآن والعهدين).

٢- البحث الموضوعي المقارن بين الشيعة والمذاهب الإسلامية الأخرى، ومثاله: (الشفاعة، والتوحيد، والشرك في تفاسير الشيعة والسنّة).

ملاحظة

يمكن الاستعانة في هذا النوع من الأبحاث ببعض الكتب المهمّة في هذا المجال، نحو «**التفسير المقارن**» للدكتور نجار زادگان، وكتابي «**قانون الوهابية**» و«**مفاهيم القرآن**» للشيخ جعفر السبحاني.

التفسير الموضوعي (القرآن وعلم آخر) Interdict plenary study:

نقصد من القرآن وعلم آخر: الفروع العلمية المتعلّقة بالمواضيع والمسائل التفسيرية، ومسائل العلوم القرآنية، فإنّ المسائل تكون موضوعاً للبحث من خلال علمين، فتُدْرَسُ من الجهة الأولى من خلال علم معيّن، ثمّ تدرس في التفسير، وبما أنّ الكثير من المسائل والمواضيع القرآنية ذو أصول وجذور متعدّدة، فلا بدّ أن يُدرس بصورة جديدة شاملة وتخصّصية، فهذا ما نقصد به «**القرآن وعلم آخر**».

ومن الطبيعي أن نذكر أنّه لا منافاة بين هذه الطريقة وبين إعمال المناهج والطرق المختلفة للدراسات التي تنطلق من خارج النصّ القرآني، والدراسات المقارنة، بل قد يكون إعمالها ضرورياً في هذا النوع من الدراسات.

وبعد هذا، يمكننا تعريف الدراسات المشتركة (القرآن وعلم آخر) بما يلي:

منهاج معرفة قائم على الحوار، والتصعيد المؤثّر النافع بين التوسّعات في التحليل للمسألة الواحدة. وبعبارة أخرى: معرفة الأمر في ضوء الحوار المفيد بين المذاهب العلمية أو فروعها المختلفة [١].

والباحث في هذا الأسلوب ملتزم بالأصلين التاليين:

١. يمكن أن يكون الآخرون على شيء من الحقيقة.

٢. يجب أخذ كلام الآخرين بتواضع وبعين ناقدة.

وأمّا التعدّدية المبيّنة والموضّحة لتنوّع المناهج الناظرة للمسألة الواحدة، فيمكن أن تكون نوعين من حيث البرنامج «**الخطّة**» التحقيقية، هما:

الأوّل: التعدّدية المبنية على برنامج ميكانيكي:

وفي هذا المنهج يقوم الباحث بأخذ الآراء المختلفة، ويجمعها من العلوم المتنوّعة، ولكنّه يقوم بجعل كلّ رأي في مكانه المناسب من النظام المعرفي، طبقاً لحساب وبرنامج مُعَدّ سلفاً. فإنّ قسماً يمثّل الجذور، والقسم الآخر بمثابة الجذع، والقسم الثالث بمثابة الفرع والأوراق، وهكذا تجعل النظرية ونظامها.

وفي هذا البرنامج تستخدم نظريات متنوّعة، بعيداً عن التقوقع في منهج معرفي محدّد، فلا يعارض أيّ نظرية أو ينكرها، ويتمّ هذا المنهج من خلال جمع الآراء.

وللمثال على ذلك: فقد اعتبر بعض الباحثين أنّ إقبال الملا صدرا الشيرازي على مختلف العلوم، كالفلسفة، وتفسير القرآن، والعرفان، ودراستها، في حال كونه ناظراً إلى مسائل المبدأ والمعاد، إنّما هو على أساس هذا النحو والمنهج من البحث والتحليل [٢].

(١) قراملكي، روش شناسي مطالعات ديني، م.س، ص٣٣٤.

(٢) قراملكي، روش شناسي مطالعات ديني، م.س، ص٣٣٢.

ملاحظة: من الأفضل أن نطلق على هذا المنهج من الدراسات المشتركة (القرآن وعلم آخر) اسم الدراسات المقارنة بين الفروع العلمية، وهذا ما جرى - إلى حدٍّ ما - في العقود الأخيرة، فإنّه وفي مجال التفسير العلمي تمّ إجراء العلمية نفسها، أي لقد جرى تطبيق مباحث العلوم الجديدة أو نتائجها أو معطياتها على الآيات القرآنية، وكان هذا التطبيق - في بعض الأحيان - غير مراعٍ للضوابط، وكان منسجماً مع الظواهر القرآنية. وعليه فإنّ هذا المنهج قد ينجرّ إلى التفسير بالرأي، والسيد الطباطبائي قدس سره لم يعتبره تفسيراً، بل اعتبره تطبيقاً مردوداً[1].

الثاني: التعدّدية المبنية على برنامج (خطّة) ديناميكي:

وفي هذا الأسلوب يأخذ الباحث الآراء المختلفة بالتصرّف والتركيب، ليضمن الوصول إلى النظريات الأعمق والأدقّ، فالتعدّدية (الكثروية) بهذا المعنى لها برامج تحقيقية واستراتيجيات للبحث، وهي من أنفع المناهج عطاءً وأليقها خبرة. وعليه نطلق على هذا النوع من الدراسات اسم التعدّدية الديالكتيكية (الجدلية)، أو الدراسات لعلم وعلم آخر (الدراسات المشتركة).

والباحث فيه لا يلاحظ كون النظريات فارغة أو خالية من الثمرة العلمية أو العملية، بل يعتبر نفسه محتاجاً للمواجهة الجدّية والمبرمجة لتلك النظريات، ونطلق على الطريق لمواجهتها اسم الحوار المفيد والمؤثّر، والذي يعتمد في إيجاد التأثير على حسن الاستماع[2].

ضيق مجال هذه الطريقة:

إنّ هذه المسألة متعدّدة الأصول ومتنوّعة الجذور، وبسبب كثرة فروعها

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، م.س، ج١، ص٧-٨.
(٢) قراملكي، روش شناسي مطالعات ديني، م.س، ص٢٣٢-٢٣٣.

وبطونها، تعدّدت أصولها وتأصّلت في العلوم المتعدّدة[١]، فلا بدّ أن نعلم أنّه، وفي المسائل أو المواضيع ذات الأصل الواحد، لا مجال لاستخدام هذا الأسلوب من الدراسات والبحوث المشتركة بين علم وآخر.

وعلى سبيل المثال: إنّ حالة الانتحار ظاهرة متعدّدة العوامل، فهناك دوافع اجتماعية وثقافية، ولربما اقتصادية وغيرها، ومن جملة العوامل الدينية المؤثّرة - من حيث منع الانتحار - والتي ذكرها القرآن قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢].

وعليه، فمن أجل بسط الكلام في هذه المسألة المتعدّدة الأصول وتبيينها، فلا بدّ لنا من الدراسة المشتركة بين فرعين علميين.

ومثال آخر: (التطبيقات العلمية) وتطبيقات التعاليم القرآنية، فإنّ شرحها وتبيينها الدقيق يحتاج إلى مناهج متعدّدة، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ، والحضارة، وفلسفة الدين، والإلهيات، وغيرها، كما أنّها تقبل التحليل والدراسة عبر الأدوات التجريبية والاختبار[٣].

لقد أصبحت هذه الدراسات المشتركة في عصرنا الحاضر محلّ اهتمام الكثير من العلماء[٤]، ذلك لأنّها منتجة ومفيدة في موارد شتّى، من جملتها ما يلي:

١. تفسير الآيات العلمية، وتحديد المواضيع العلمية في القرآن وتوضيحها.

٢. توجيه مباني العلوم وإرشادها، ولا سيما العلوم الإنسانية.

٤. التنظيرات العلمية القرآنية.

٥. إنتاج العلوم الجديدة . فقد تشكّلت فروع علمية جديدة (علوم بين

(١) قراملكي، روش شناسي مطالعات ديني، م.س، ص٢٣٥.

(٢) البقرة: ١٩٥.

(٣) قراملكي، روش شناسي مطالعات ديني، م.س، ص٢٣٥-٢٣٦ (مع تصرّف في المثال).

(٤) توجد مراكز علمية فعّالة في هذا الشأن، مثل: مركز أبحاث الحوزة والجامعة، ومركز أبحاث العلوم الإنسانية، ومؤسّسة التحقيقات القرآنية للحوزة والجامعة، ومركز تحقيقات القرآن الكريم (قسم القرآن والعلوم) داخل إيران، ورابطة العالم الإسلامي في السعودية، وقد أقدمت جامعة المصطفى العالمية على فتح الدراسات العليا (الدكتوراه) - قسم القرآن - وبفروع متنوّعة.

فرعين علميين)، كما في علم النفس الديني، أو علم الاجتماع الديني.

وأمّا الدراسات والتحقيقات المشتركة فيما بين القرآن وعلم آخر، فقد تتشكّل في مجال العلوم المختلفة، ومنها:

الأوّل: في مجال العلوم الطبيعية: كالقرآن والصحّة، والقرآن والنجوم، والقرآن والطب، وغيرها.

الثاني: في مجال العلوم الإنسانية: كالقرآن وعلم النفس، والقرآن والعلوم التربوية، والقرآن وعلم الاجتماع، والقرآن والاقتصاد، والقرآن والسياسة، والقرآن والحقوق، والقرآن والفنّ، وغيرها.

الثالث: في مجال العلوم العقلية: كالقرآن والفلسفة، والقرآن والكلام، والقرآن والرياضيات.

الرابع: في مجال العلوم الشهودية: كالقرآن والعرفان، وغيرهما.

ملاحظة: إنّ لهذا النوع من الدراسات أساليبه ومبانيه وقواعده، كما أنّ التحقيق فيها يحتوي على نقاط ضعف خاصّة.